حول مراجعة «الثابت والمتغير في الاقتصاد الاسرائيلي»

في شؤون فلسطينية . العدد ٢٠١، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩، الصفحات ٩٧ ـ ١٠١، نشر الزميل عمر سعادة، مراجعة لكتابي «الاقتصاد الاسرائيلي»، اشتملت على بعض الملاحظات السلبية، التي ارى انها بحاجة الى ايضاح، خصوصاً وانها استندت على قراءة خاطئة، وغير كاملة، للنقطة، او النقاط، محل الملاحظات.

كتب الزميل «وللحقيقة، فان افاضة الكاتب في تناول النمو السكاني والهجرة اليهودية اسلمته الى بعض الاستنتاجات بعيدة الصلة بموضوع الكتاب، من جهة، والتي لا يتفق معه بشأنها معظم المهتمين بديموغرافيا اسرائيل...».

في حدود معرفة الكاتب، فان كلمة «افاضة» تحمل مدلولاً سلبياً يفيد بالاطالة التي لا لزوم لها. اذكّر المراجع والقارىء، معاً، بأن الفصل بكامله هو عبارة عن ٢٠ صفحة فقط، اشتملت، فيما اشتملت عليه، على عشرة جداول وستة عناوين رئيسة ومتنوعة، فضلاً عن مدخل الفصل. والعناوين هي: ١ ـ النمو في عدد السكان، وقد خصصت له صفحتان ونصف الصفحة؛ ٢ ـ اسهام الزيادة الطبيعية والهجرة في النمو السكاني، وقد خصصت له صفحتان ونصف الصفحة؛ ٣ ـ الهجرة المضادة، وخصصت لها صفحتان ونصف الصفحة؛ ٤ ـ تطوّر التأهيل العلمي للموارد البشرية، وقد خصصت له حوالى الصفحة؛ وهكذا دواليك حتى نهاية الفصل.

على ذلك، يكون الكاتب قد خصص اقل من ثماني صفحات لموضوع السكان، والهجرة، والهجرة المضادة، منها ثلاث صفحات خصصت لثلاثة جداول، بمعدل جدول تحت كل عنوان. والحصيلة اقل من خمس صفحات لمناقشة ثلاثة عناوين هامّة وشائكة. هذا الحال، هل يسمح بالافاضة، كما ذكر الزميل؟ لقد توقفت تجاه المثل السابق كنموذج يصحّ لقياس مقدار الدقة ومدى تعبير الكلمات الضخمة عن مضمون مشابه.

بعد «كشف» خطأ الافاضة، كشف لنا الزميل انها قد «اسلمته»، اي الكاتب، الى بعض الاستنتاجات، الخ. وهكذا يكون الكاتب تابعاً ومسوقاً لما قدّمه بافاضة!، فقدّم استنتاجات بعيدة الصلة بموضوع الكتاب، ولا يتفق معه بشأنها معظم المهتمين بديمغرافيا اسرائيل! الأطرف، ان الزميل بدأ جملته بكلمة «والحقيقة».

ولكن ما هو دليل الزميل؟ الدليل هو «من ذلك، مثلاً، ان ' هبوط نسبة اسهام الهجرة مقارنة بنسبة اسهام النمو الطبيعي في تكوين الموارد البشرية يعود الى الزيادة في النمو الطبيعي، دون ان يعني ذلك، بالضرورة، هبوط الحجم المطلق للهجرة' » (ص ٦٠).

نعم. المقتطف السابق مأخوذ من الكتاب، ولكن اين اعتراض الزميل؟ علّق قائلاً: «وهذا استنتاج يتعارض مع معطيات حركة الهجرة اليهودية، التي شهدت انحساراً كبيراً منذ قيام الكيان الصهيوني، بحيث فاقت نسبة الهبوط في عدد المهاجرين الى اسرائيل نسبة الزيادة في النمو الطبيعي».

لقد خدع الزميل نفسه، قبل ان يخدع القرّاء، حين ادّعى بأن الكتاب يقول بما يتعارض وحقيقة انحسار الهجرة، مستنداً، في ذلك، الى قول الكاتب دون ان يعني ذلك، بالضرورة، هبوط الحجم المطلق للهجرة. ان الجملة المشار اليها، حتى في نطاق الصيغة التي وصفها بها، لا تعني جزماً بشيء محدّد. انها تؤدي معنى مختلفاً عمّا لو لم تتضمّن كلمة «بالضرورة». لقد خدع الزميل نفسه حين ترجم «دون ان يعني ذلك، بالضرورة، هبوط الحجم المطلق للهجرة» الى «دون ان يعني ذلك هبوط الحجم المطلق للهجرة».